أقضايا ثقافية

علم المعرفة
معرفة العلم

صدر حديثا كتاب جوزيف مجدلاني الثاني والعشرون «الايزوتيريك علم المعرفة ومعرفة العلم»، وهو مجموعة محاضرات القاها في لبنان وخارجه مؤسس مركز الايزوتيريك جوزيف مجدلاني (منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، ٦٤ صفحة من القطع الوسط).

المحاضرات جديدة من نوعها، وحقاً «تستثير الفكر» بطروحاتها التي تستدعي دراسة جدية ومتعمقة. طروحاتها هذه تتعلق بمنحيين من المناحي الاساسية في حياة الانسان، والتي لعبت وتلعب دوراً مهماً في قولبة تفكير الانسان وتوجهاته ومستقبل وجوده... وهي بالتحديد الفلسفة والعلم.

المحاضرات اربع:

«المعرفة وكيف تجزأت الى فلسفة، دين، علوم وفنون».

«قصة الفلسفة وعلاقتها بالايزوتيريك».

«حقيقة الفلسفة، اصلها وهدفها كما يرويها الايزوتيريك».

و «الفارق بين باطن المعرفة وظاهر العلم».

الشروحات والاسئلة التي تستنبطها هذه المحاضرات جوهرية، ولا يمكن تفاديها لكل دارس جدّي او بحاثة متزن، لكل طالب معرفة او حتى الانسان العادي الذي في اقله «يفكر»!

هل كان للفلسفة او العلم وجود دائم؟... وهل لا بد ان يكون لهما وجود مستمر؟

ما هو سبب او مبرر هذا الوجود؟

ما هو الهدف، او ما هي رسالة الفلسفة والعلم عبر مراحل تطور الوعي الانساني؟

ما هو مستقبل الفلسفة ومستقبل العلم ربطا بمستقبل الانسان؟

تنطلق الاجابات من حقبة انسان ما قبل الفلسفة، حين كانت المعرفة في متناول الجميع، وكانت واحدة شاملة وغير مجزّأة. لكن مع تعاقب الازمان وابتعاد الانسان عن حقيقة ذاته، وانغماسه الشره بأمور المادة حصرا، طمست تلك المعرفة في اعماق لاوعيه... ولم يعد قادرا على استيعابها بكليتها، فكانت تجزئة المعرفة حتمية وضرورية ليبدأ الانسان من جديد مسيرة وعي ذاته.

ويقول الكاتب ان الفلسفة ظهرت كوجه من وجوه معرفة الذات، او كفرع من الايزوتيريك - علم المعرفة الام. وتحوي الفلسفة الحقيقية - اي «محبة الحكمة» - حقائق انسانية وكونية... وفي الوقت نفسه كانت تقوم بدور تدريب الفكر الانساني وتطويره. ينطبق هذا الكلام على الفلسفات الاولية كفلسفة افلاطون وسقراط وبيتاغوراس وسواهم. وكانت رسالة تلك الفلسفات «تذكير الانسان بعلوم باطن الانسان، وانعاش ذاكرته او وعيه الباطني بتلك المعارف الخفية المنسية» كما كانت «الخطوة الاولى على درب الوعي والتوعية». وكانت مقدمة للعلوم المادية وتمهيد العلم الايزوتيريك الذي سيوسع ويكشف النواحي الخفية من كل علم». ثم ظهرت الاديان لتقدم ايضا حقائق المعرفة الخافية ولتمسك بيد الانسان نحو التطور في الاتجاه الروحي وهي تخاطب الايمان والمحبة في الانسان. ثم جاء ظهور العلم محاولة لفهم المادة في الانسان وفي الطبيعة والكون... وهو تعبير عن ارادة المعرفة في الانسان، وإن اتخذ (العلم) منحى ماديا محدودا نسبيا، ووجهة مسار خارجية. اما الفنون فظهورها ايضا نتج عن تجزئة المعرفة الشاملة، فهي تقرّب الانسان من حقيقة ذاته بما فيها من سمو الفكر وجبروت الارادة ورهافة المشاعر وشفافية المحبة.

لكن، يقول مجدلاني، لا يمكن للتجزئة ان تدوم. فالانسان الواعي يسعى الى الشمولية، ولا تجيبه الفلسفة وحدها بمتناقضاتها، وها هي تنحسر... ولا العلم بماديته ومحدوديته الحالية... ولم يكتفِ العقل في الانسان بالايمان الديني... والفنون لا تزال بعيدة عن التوجه السامي المنتظر منها.

اذن، للأجابة عن اسئلة الوجود الانساني، ولدفع التطور في الوعي والوصول الى معرفة الذات، لا بد للانسان من تغيير مسار بحثه. اذ عليه ان «ينطلق من الباطن الى الظاهر، من المركز الى الدائرة». فالايزوتيريك يؤكد «انه كلما تعمق الانسان في معرفة نفسه، اكتشف اسرارا عظيمة». فلا الفلسفة ولا العلوم قدمت تقنية او منهجا لمعرفة النفس، وهنا يأتي دور المعرفة الام، دور علم الانسان، الايزوتيرك الذي، كما يقول الكاتب، سيأخذ مستقبلا (وهو قد باشر بذلك) دور اكمال مسيرة التطور الانساني، اذ ان الايزوتيريك هو العلم الشامل، علم انسانية الانسان الذي يقدم الهدف والمنهج لمعرفة النفس والذات، هدف كل انسان على وجه الارض، والخطوة الاساسية نحو اكتمال الانسان بالوعي.

«الايزوتيريك علم المعرفة ومعرفة العلم» كتاب يستسيغه رجال العلم والفلسفة والفكر بوجه خاص، وكل من اراد ان يستشف الجديد في مستقبل الجنس البشري.

أ. حيان